

النَّذِيرِ الْمُبِينِ ۖ كَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى الْمُقْتَسِمِينَ ۚ الَّذِينَ جَعَلُوا الْقُرْآنَ عِضِينَ ۖ فَوَرَبِّكَ لَنَسْتَلِفَنَّهُمْ أَحْجَعِينَ ۖ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ ۖ فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ ۚ إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ ۚ الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا ءَاخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ ۚ وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ ۚ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ ۚ وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ ۚ

سورة النحل

مكية إلا الآيات الثلاث الأخيرة فمدنية وآياتها ١٢٨ نزلت بعد الكهف

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * أَتَىٰ أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ سُبْحَنَهُ وَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۚ يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ

(ولا تحزن عليهم) أى لا تنأسف لكفرهم (واخفض جناحك) أى تواضع وإن (المؤمنين) والجناح هنا استدارة (كما أنزلنا على المقتسمين) الكاف من كما متعلقة بقوله أنا النذير أى أنذر قريشا عذابا مثل العذاب الذى أنزل على المقتسمين ، وقيل متعلق بقوله ولقد آتيناك أى أنزلنا عليك كتابا كما أنزلنا على المقتسمين ، واختلف فى المقتسمين ف قيل هم أهل الكتاب الذين آمنوا ببعض كتابهم وكفروا ببعضه ، فافترسوا إلى قسمين ، وقيل هم قريش افترسوا أبواب مكة فى الموسم ، فوقف كل واحد منهم على باب ، يقول أحدهم هو شاعر ، ويقول الآخر هو ساحر ، وغير ذلك (الذين جعلوا القرآن عضين) أى أجزاء ، وقالوا فيه أقوالا مختلفة وواحد عضين عضه وقيل هو من العضه وهو السحر ، والعضه الساحر ، والمعنى على هذا أنه سحر ، والكلمة محذوفة اللام ولماها على القول الأول وار وعلى الثانى هاء (فوربك لننزلنهم أجمعين) إن قيل : كيف يجمع بين هذا وبين قوله فيومئذ لا يسئل عن ذنبه إنس ولا جان ؟ فالجواب أن السؤال المثبت هو على وجه الحساب والتوبيخ ، وأن السؤال المنفى هو على وجه الاستفهام المحض لأن الله يعلم الأعمال فلا يحتاج إلى السؤال عنها (فاصدع بما تؤمر) أى صرح به وأنفذه (إنا كفيناك المستهزين) يعنى قوماً من أهل مكة أهملهم الله بأنواع الهلاك من غير سعى النبى صلى الله عليه وسلم ، وكانوا خمسة : الوليد بن المغيرة والعاصى بن وائل ، والأسود بن عبدالمطلب ، والأسود بن عبد يغوث وعدى بن قيس ، وقصة هلاكهم مذكورة فى السير ، وقيل الذين قتلوا بيدرك كآبى جهل وعتبة بن ربيعة وشيبة بن ربيعة وأميه بن خلف وعقبة بن معيط أبى وغيرهم ، والأول أرجح ، لأن الله كفاه إياهم ، مكة قبل الهجرة (ولقد نعلم أنك يضيق صدرك بما يقولون) تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم وتأنيس (حتى يأتيك اليقين) أى الموت .

سورة النحل

(أتى أمر الله) قيل يعنى القيامة ، وقيل النصر على الكفار ، وقيل عذاب الكفار فى الدنيا ، ووضع الماضى موضع المستقبل لتحقيق وقوع الأمر وانزله ، وروى أنها المنزلة وثب رسول الله صلى الله عليه وسلم قائماً فلما قال

بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ ۚ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ
بِالْحَقِّ نَعْلَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ۚ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ۖ وَالْأَنْعَامَ خَلَقَهَا لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ
وَمَنْفَعٌ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ۚ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ۚ وَحَمَلُ أَنْفَالِكُمْ إِلَىٰ الْبَلَدِ لَمْ تَكُونُوا
بِلَفْغِهِ إِلَّا بِشَقِّ الْأَنْفُسِ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرءُوفٌ رَحِيمٌ ۖ وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا
تَعْلَمُونَ ۚ وَعَلَى اللَّهِ قَصْدُ السَّبِيلِ وَمِنْهَا جَائِرٌ وَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ ۚ هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ
مَاءً لَكُمْ مِنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ ۚ يُنبِتُ لَكُمْ بِهِ الزَّرْعَ وَالزَّيْتُونَ وَالنَّخِيلَ وَالْأَعْنَابَ وَمِنْ كُلِّ
الشَّمَرَاتِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ۚ وَسَخَّرَ لَكُمْ الَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ وَالنُّجُومَ مُسَخَّرَاتٍ
بِأَمْرِ ۚ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ۚ وَمَا ذَرَأَ لَكُمْ فِي الْأَرْضِ مُخْتَلَفًا أَلْوَانُهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ

فلا تستعجلوه سكن (ينزل الملائكة بالروح) أى بالنبوة وقيل بالوحى (خلق الإنسان من نطفة) أى من نطفة
المنى ، والمراد جنس الإنسان (فإذا هو خصيم مبين) فيه وجهان أحدهما أن معناه متكلم يخاصم عن نفسه
والثانى يخاصم فى ربه ودينه ، وهذا فى الكفار والاول أعم (لكم فيها دفة) أى ما يتدفأ به ، يعنى
ما يتخذ من جلود الأنعام وأصوافها من الشيا ب ، ويحتمل أن يكون قوله لكم متعلقاً بما قبله أو بما بعده
ويختلف الوقوف باختلاف ذلك (ومنافع) يعنى شرب ألبانها والحرث بها وغير ذلك (ومنها تأكلون) يحتمل
أن يريد بالمنافع ما عدا الأكل فيكون الأكل أمراً زائداً عليها أو يريد بالمنافع الأكل وغيره ثم جرد ذكر
الأكل لأنه أعظم المنافع (ولكم فيها جمال حين تريحون وحين تسرحون) الجمال حسن المنظر وحين تريحون يعنى حين
تردونها بالعشى إلى المنازل ، وحين تسرحون حين تردونها بالغداة إلى الرعى ، وإنما قدم تريحون على
تسرحون لأن جمال الأنعام بالعشى أكثر لأنها ترجع وبطونها ملأى وضروها حافلة (وتحمل أنفالكم
يعنى الامتعة وغيرها وقيل أجساد بنى آدم (إلى بلد) أى إلى أى بلد توجهتم ، وقيل يعنى مكة (بشق الأنفس)
أى بمشقة (لتركبوها وزينة) استدلل بعض الناس به على تحريم أكل الخيل والبغال والحمير ، لكونه
علل خلقها بالركوب والزينة دون الأكل ونصب زينة على أنه مفعول من أجله ، وهو معطوف على موضع لتركبوها
(ويخاق ما لا تعلمون) عبارة على العموم أى أن مخلوقات الله لا يحيط البشر بعلومها ، وكل ما ذكر فى هذه الآية شيئاً
مخصوصاً فهو على وجه المثال (وعلى الله قصد السبيل) أى على الله تقويم طريق الهدى بنصب الأدلة وبعث
الرسل والمراد بالسبيل هنا الجنس ، ومعنى القصد القاصد الموصل ، وإضافته إلى السبيل من إضافة الصفة
إلى الموصوف (ومنها جائر) الضمير فى منها يعود على السبيل إذ المراد به الجنس ومعنى الجائر : الخارج عن
الصواب : أى ومن الطرق جائر كطريق اليهود والنصارى وغيرهم (ماء لكم) يحتمل أن يتعلق لكم بأنزل
أو يكون فى موضع خبر لشراب ، أو صفة اسماء (ومنه شجر) يعنى ما ينبت بالمطر من الشجر (فيه تسيمون)
أى ترعون أنعامكم (وما ذرأ لكم فى الأرض) يعنى الحيوان والأشجار والثمار وغير ذلك (مختلفاً ألوانه) أى

يَذْكُرُونَ * وَهُوَ الَّذِي سَخَّرَ الْبَحْرَ لَنَا كُلُّوْا مِنْهُ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُوا مِنْهُ حُلِيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى الْفُلْكَ مَوَآخِرَ فِيهِ وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ وَلِعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ، وَالَّتِي فِي الْأَرْضِ رَوَاسِي أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَأَنْهَارًا وَسُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ، وَعَلَّمَتِ وَالنَّجْمَ هُمْ يَهْتَدُونَ ، أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذْكُرُونَ * وَإِنْ تَعْدُوا نِعْمَةَ اللَّهِ لَا تُحْصَوْهَا إِنَّ اللَّهَ لَغَفُورٌ رَحِيمٌ * وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تُسْرُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ * وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ * أَمْوَاتٌ غَيْرُ أَحْيَاءٍ وَمَا يَشْعُرُونَ أَيَّانَ يُبْعَثُونَ ، إِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ قُلُوبُهُمْ مُنْكَرَةٌ وَهُمْ مُسْتَكْبِرُونَ * لَا جَرَمَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسْرُونَ وَمَا يُعْلِنُونَ إِنَّهُ لَا يُحِبُّ

أصنافه وأشكاله (لحما طريا) يعنى الحوت (حلية تلبسونها) يعنى الجواهر والمرجان (مواخر فيها) جمع ما حرة يقال مخرت السفينة ، والمخرشق الماء ، وقيل صوت جرى الفلك بالرياح (لتبتغوا من فضله) يعنى فى التجارة وهو معطوف على لنا كلوا (والتي فى الأرض رواسي أن تميد بكم) الرواسى الجبال ، واللفظ مشتق من رسا إذ اذبت ، وأن تميد فى موضع مفعول من أجله ، والمعنى أنه ألقى الجبال فى الأرض لئلا تميد الأرض وروى أنه لما خلق الله الأرض جعلت تميد فقالت الملائكة لا يستقر على ظهر هذه أحدا فأصبحت وقد أرسيت بالجبال (وأنهارا) قال ابن عطية أنهارا منصوب بفعل مضمر تقديره وجعل أو خلق أنهارا قال وإجماعهم على إضمار هذا الفعل دليل على أن ألقى أخص من جعل وخلق : ولو كانت ألقى بمعنى خلق : لم يحتج إلى هذا الإضمار (وسبلا) يعنى الطرق (وعلامات) يعنى ما يستدل به على الطرق من الجبال والمناهل وغير ذلك ، وهو معطوف على أنهارا وسبلا قال ابن عطية هو نصب على المصدر أى لعلمكم تعتبرون ، وعلامات أى عبرة وأعلاما (وبالنجم هم يهتدون) يعنى الاهتداء بالليل فى الطرق ، والنجم هنا جنس ، وقيل المراد الثريا والفرقدان ، فان قيل : قوله وبالنجم هم يهتدون مخرج عن سنن الخطاب وقدم فيه النجم كأنه يقول وبالنجم خصوصاً هؤلاء خصوصاً يهتدون : فن المراد بهم ؟ فالجواب أنه أراد قريشا لأنهم كان لهم فى الاهتداء بالنجم فى سيرهم علم لمن يكن لغيرهم ، وكان الاعتبار ألزم لهم فخصوا ، قال ذلك الزمخشري (أفمن يخلق كمن لا يخلق) تقرير يقتضى الرد على من عبد غير الله ، وإنما عبر عنهم بمن لأن فيهم من يعقل ومن لا يعقل ، أو مشاكلة لقوله أفمن يخلق (وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها) ذكر من أول السورة إلى هنا أنواعا من مخلوقاته تعالى على وجه الاستدلال بها على وحدانيته ، ولذلك أعقبها بقوله (أفمن يخلق كمن لا يخلق) وفيها أيضاً تعداد لنعمه على خلقه ولذلك أعقبها بقوله وإن تعدوا نعمة الله لا تحصوها ، ثم أعقب ذلك بقوله إن الله لغفور رحيم : أى يغفر لكم التقصير فى شكر نعمه (والذين تدعون من دونه لا يخلقون شيئا وهم يخلقون) نفى عن الأصنام صفات الربوبية ، وأثبت لهم أضدادها ، وهى أنهم مخلوقون غير خالقين ، وغير أحياء وغير عالمين بوقت البعث ، فلما قام البرهان ، على بطلان ربوبيتهم أثبت الربوبية لله وحده ، فقال : إلهكم إله واحد (أموات غير أحياء) أى لم تكن لهم حياة قط ولا تكون ، وذلك أغرق فى موتها بمن تقدمت له حياة ثم مات ، ثم يعقب موته حياة (وما يشعرون أيان يبعثون) الضمير فى يشعرون الأصنام وفى يبعثون للكفار الذين عبدوهم ، وقيل إن الضميرين للكفار (قلوبهم منكورة) أى تنكر وحدانية الله عز وجل (لا جرم) أى لا بد ولا شك ،

الْمُسْتَكْبِرِينَ ، وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ مَاذَا أُنْزِلَ رَبُّكُمْ قَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ ، لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ النَّيِّمَةِ ، وَمَنْ أَوْزَارَ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ ، قَدْ مَكَرَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَأَتَى اللَّهُ بُنْيَانَهُمْ مِنَ الْقَوَاعِدِ فَخَرَّ عَلَيْهِمُ السَّقْفُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَأَتَاهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ * ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يُخْزِيهِمْ وَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تُشَاقُّونَ فِيهِمْ قَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ إِنَّ الْخِزْيَ الْيَوْمَ وَالسُّوءَ عَلَى الْكَافِرِينَ ، الَّذِينَ تَوَقَّعَهُمُ الْمَلَائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ فَأَلْقَوْا السَّلَمَ مَا كُنَّا نَعْمَلُ مِنْ سُوءٍ بَلَى إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ * فَاذْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا فَبَلِّغْهُمْ مَثْوَى الْمُتَكَبِّرِينَ * وَقِيلَ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا مَاذَا أَنْزَلَ رَبُّكُمْ قَالُوا خَيْرًا

وقيل إن لاني لما تقدم ، وجرم معناه وجب ، أو حق ، وأن فاعلة بجرم (أساطير الأولين) أى مأسطره الأولون ، وكان النضر بن الحارث قد اتخذ كتاب تواريخ ، وكان يقول إنما يحدث محمد بأساطير الأولين ، وحديثي أجمل من حديثه ، وماذا يجوز أن يكون اسما واحدا مركبا من ما وذا ، ويكون منصوبا بأنزل أو أن تكون ماستفهامية في وضع رفع بالابتداء ، وذا بمعنى الذي ، وفي أنزل ضمير محذوف (ليحملوا أوزارهم) اللام لام العاقبة والصيرورة : أى قالوا أساطير الأولين ، فأوجب ذلك أن حملوا أوزارهم وأوزار غيرهم ، ويحتمل أن تكون الأمر (بغير علم) حال من المفعول في يضلونهم ، أو من الفاعل (فأتى الله بنيانهم من القواعد) الآية : قيل المراد بالذين من قبلهم نمرود ، فإنه بنى صرحا ليصعد فيه إلى السماء بزعمه ، فلما علا فيه فرسخين هدمه الله وخر سقفه عليه ، وقيل أراد بالذين من قبلهم كل من كفر من الأمم المتقدمة ، ونزلت به عقوبة الله فالبنيان والسقف والقواعد على هذا تمثيل (ويقول أين شركائي) توبيخ للشركيين وأضاف الشركاء إلى نفسه أى على زعمكم ودعواكم ، وفيه تهكم بهم (الذين كنتم تشاقون فيهم) أى تعادون من أجلهم فمن قرأ بكسر النون فالمفعول ضمير المتكلم وهو الله عز وجل ، ومن قرأ بفتحها فالمفعول محذوف تقديره تعادون المؤمنين من أجلهم (قال الذين أوتوا العلم) هم الأنبياء والعلماء من كل أمة ، وقيل يعنى الملائكة ، واللفظ أعم من ذلك (ظالمى أنفسهم) حال من الضمير المفعول في توقاهم (فآلقوا السلم) أى استسلموا للموت (ما كنا نعمل من سوء) أى قالوا ذلك ، ويحتمل قولهم لذلك أن يكونوا قصدوا الكذب اعتصامابه كقولهم والله ربنا ما كنا مشركين أو يكونوا أخبروا على حسب اعتقادهم في أنفسهم فلم يقصدوا الكذب ، ولكنه كذب في نفس الأمر (بلى) من قول الملائكة للكفار : أى قد كنتم تعلمون السوء (وقيل للذين اتقوا ماذا أنزل ربكم قالوا خيرا) لما وصف مقالة الكفار الذين قالوا أساطير الأولين : قابل ذلك بمقالة المؤمنين ، فإن قيل : لم نصب جواب المؤمنين وهو قولهم خيرا ، ورفع جواب الكافرين وهو أساطير الأولين : فالجواب : أن قولهم خيرا منصوب بفعل مضمر تقديره أنزل خيرا ، ففي ذلك اعتراف بأن الله أنزله ، وأما أساطير الأولين فهو خبر ابتداء مضمر تقديره هو أساطير الأولين فلم يعترفوا بأن الله أنزله فلا وجه لنصبه ، ولو كان منصوبا لكان الكلام متناقضا لأن قولهم أساطير الأولين يقتضى التكذيب بأن الله أنزله ، والنصب بفعل مضمر يقتضى التصديق بأن الله أنزله ، لأن تقديره أنزل ، فإن قيل : يلزم مثل هذا في الرفع ، لأن تقديره هو أساطير الأولين فإنه غير مطابق للسؤال الذى هو ماذا أنزل ربكم ، فالجواب : أنهم عدلوا بالجواب

لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلِذَارِ الْآخِرَةِ خَيْرٌ وَلَنِعْمَ دَارُ الْمُتَّقِينَ جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ لَهُمْ فِيهَا مَا يَشَاءُونَ كَذَلِكَ يَجْزِي اللَّهُ الْمُتَّقِينَ * الَّذِينَ تَتَوَفَّيْهُمْ الْمَلَائِكَةُ طَيِّبِينَ يَقُولُونَ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ ادْخُلُوا الْجَنَّةَ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ فَاصَابَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا عَمِلُوا وَحَاقَ بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ * وَقَالَ الَّذِينَ أَشْرَكُوا لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا عَبَدْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ نَحْنُ وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَمْنَا مِنْ دُونِهِ مِنْ شَيْءٍ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَهَلْ عَلَى الرُّسُلِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ * وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنْ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ فَمِنْهُمْ مَنْ هَدَى اللَّهُ وَمِنْهُمْ مَنْ حَقَّتْ عَلَيْهِ الضَّلَالَةُ فَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُكْذِبِينَ * إِنْ تَحَرَّضَ عَلَى هُدَاهُمْ فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ يُضِلُّ وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ * وَأَقْسَمُوا بِاللَّهِ جَهْدَ أَيْمَانِهِمْ لَا يَبْعَثُ اللَّهُ مِنْ بَعْدِ بِلَى وَعَدًا عَلَيْهِ حَقًّا وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ * لِيَبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي يُخْتَلَفُونَ فِيهِ وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّهُمْ كَانُوا كَذِبِينَ * إِنَّمَا قَوْلُنَا لِشَيْءٍ إِذَا

عن السؤال فقالوا هو أساطير الأولين ، ولم ينزله الله (للذين أحسنوا في هذه الدنيا حسنة) ارتفع حسنة بالابتداء وللذين خبره ، والجملة بدل من خيرا ، وتفسير للخير الذي قالوا ، وقيل هي استئناف كلام الله تعالى ، لا من كلام الذين قالوا خيرا (جنات عدن) يحتمل أن يكون هو اسم الممدوح بنعم ، فيكون مبتدأ وخبره فيما قبله أو خبر ابتداء مضمرة ، ويحتمل أن يكون مبتدأ وخبره يدخلونها أو مضمرة تقدير لهم جنات عدن (هل ينظرون) أي الساعة أو العذاب في الدنيا (فأصابهم سيئات ما عملوا) أي أصابهم جزاء سيئات ما عملوا (وحاق بهم ما كانوا به يستهزئون) أي أحاط بهم العذاب الذي كانوا به يستهزئون ، وهذا تفسيره حيث وقع (وقال الذين أشركوا لو شاء الله ما عبدنا من دونه من شيء) قالوا ذلك على وجه المجادلة والمخاصمة والاحتجاج على صحة فعلهم أي أن فعلنا هو بمشيئة الله فهو صواب ، ولو شاء الله أن لا نفعله ما فعلناه ، والرد عليهم بأن الله نهى عن الشرك ولكنه قضى على من يشاء من عباده ، ويحتمل أن يكونوا قالوا ذلك في الآخرة على وجه التمني فإن لو ، تكون للتمنى والمعنى على هذا أنهم لما رأوا العذاب تمنوا أن يكونوا لم يعبدوا غيره ولم يحرموا ما أحل الله من البحيرة وغيرها (فإن الله لا يهدي من يضل) قرئ بضم الياء وفتح الدال على البناء للمفعول أي لا يهدي غير الله من يضله الله وقرئ يهدي بفتح الياء وكسر الدال ، والمعنى على هذا لا يهدي الله من قضى بإضلاله (وما لهم من ناصرين) الضمير عائد على من يضل ، لأنه في معنى الجمع (بلى) رد على الذين أقسموا لا يبعث الله من يموت أي أنه يبعثه (ليبين لهم الذي يختلفون فيه) اللام تتعلق بما دل عليه بلى أي يبينهم ليبين لهم ، وهذا برهان أيضاً على

أَرَدْنَاهُ أَنْ نَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ۚ وَالَّذِينَ هَاجَرُوا إِلَى اللَّهِ مِنْ بَعْدِ مَا ظَلَمُوا لَنُبَوِّئَنَّهُمْ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَلَا جَزَاءُ لَآخِرَةٍ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ ۚ الَّذِينَ صَبَرُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ۚ وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوْحِي إِلَيْهِمْ فَسَلُّوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ۚ بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ ۚ أَفَأَمِنَ الَّذِينَ مَكَرُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ يَخْسِفَ اللَّهُ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ ۚ أَوْ يَأْخُذَهُمْ فِي تَقْلِبِهِمْ فَفَاجَأَهُمْ بِمُعْجِزٍ ۚ أَوْ يَأْخُذَهُمْ عَلَىٰ تَخَوُّفٍ فَإِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَحِيمٌ ۚ أَوْ لَمْ يَرَوْا إِلَىٰ مَا خَلَقَ اللَّهُ مِنْ شَيْءٍ يَتَفَيَّؤُا ظِلَّالُهُ عَنِ الْيَمِينِ وَالشَّمَائِلِ سُجَّدًا لِلَّهِ وَهُمْ دَاخِرُونَ ۚ

البعث ، فان الناس مخلفون في أديانهم ومذاهبهم فيبعثهم الله ليبين لهم الحق فيما اختلفوا فيه (إنما قولنا شيء الآية : برهان أيضاً على البعث لأنه داخل تحت قدرة الله تعالى (والذين هاجروا في الله) يعنى الذين هاجروا من مكة إلى أرض الحبشة ، لأن الهجرة إلى المدينة كانت بعدها ، وقيل نزلت في أبي جندل بن سهيل وخبره مذكور في السير في قصة الحديدية ، وهذا بعيد لأن السورة نزلت قبل ذلك (لنبوتهم في الدنيا حسنة) وعد أن ينزلهم بقعة حسنة وهى المدينة التى استقروا بها ، وقيل إن حسنة صفة لمصدر : أى نبوتهم تبوئة حسنة وقرئ لنبوتهم بالثاء من الثواب (الذين صبروا) وصف للذين هاجروا ، ويحتمل إعرابه أن يكون نعتاً أو على تقدير هم الذين أو مدح الذين (إلا رجلاً) رد على من استبعد أن يكون الرسول من البشر (فاسألوا أهل الذكر) يعنى أحنبار اليهود والنصارى أى لأن جميعهم يشهدون أن الرسول من البشر (بالبينات والزبر) يتعلق بأرسلنا الذى فى أول الآية على التقديم والتأخير فى الكلام ، أو بأرسلنا مضمراً ويوحى أو تعلمون (وأنزلنا إليك الذكر) يعنى القرآن (لتبين للناس ما نزل إليهم) يحتمل أن يريد لتبين القرآن بسر دك فسهل وتعليمه للناس ، أو لتبين معانيه بتفسير مشكله ، فيدخل فى هذا ما بينته السنة من الشريعة (أفأمن الذين مكرؤ السيئات) يعنى كفار قريش عند جمهور المفسرين ، والسيئات تحتمل وجهين : أحدهما أن يريد به الأعمال السيئات : أى المعاصى فيكون مكرؤ يتضمن معنى عملوا ، والآخر أن يريد بالمكرات السيئات مكرهم بالنبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم فيكون المكر على بابه (أو يأخذهم فى قلوبهم) يعنى فى أسفارهم (فهاهم بمعجزين) أى بمفاتيح حيث وقع (أو يأخذهم على تخوف) فيه وجهان أحدهما أن معناه على تنقص أى ينتقص أموالهم وأنفسهم شيئاً بعد شيء حتى يهلكوا من غير أن يهلكهم جملة واحدة ، ولهذا أشار بقوله ، فإن ربكم لرؤوف رحيم ، لأن الأخذ هكذا أخف من غيره ، وقد كان عمر بن الخطاب أشكل عليه معنى التخوف فى الآية حتى قال له رجل من هذيل التخوف التنقص فى لغتنا ، والوجه الثانى أنه من الخوف أى يهلك قوما قلوبهم فيتخوفوا هم ذلك ، فأخذهم بعد أن توقعوا العذاب وخافوه ذلك خلاف قوله وهم لا يشعرون (أو لم يروا إلى ما خلق الله من شيء يتفياً ظلاله) معنى الآية اعتبار بانتقال الظل ، ويعنى بقوله ما خلق الله من شيء : الأجرام التى لها ظلال من الجبال والشجر والحيوان

وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ دَابَّةٍ وَالْمَلَائِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ، يَخَافُونَ رَبَّهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ . وَقَالَ اللَّهُ لَا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهُ وَاحِدٌ فَإِنِّي فَارْهَبُونَ * وَلَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبًا أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَتَّقُونَ . وَمَا بِكُمْ مِنْ نِعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ . ثُمَّ إِذَا كُشِفَ الضُّرُّ عَنْكُمْ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْكُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ ، لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ فَتَمْتَعُوا

وغير ذلك ، وذلك أن الشمس من وقت طلوعها إلى وقت الزوال يكون ظاهها إلى جهة ، ومن الزوال إلى الليل إلى جهة أخرى ، ثم يمتد الظل ويعم بالليل إلى طلوع الشمس ، وقوله يتفؤ من الفيء وهو الظل الذي يرجع بعكس ما كان غدوة ، وقال روبة بن العجاج يقال بعد الزوال ظل وفيء ، ولا يقال قبله إلا ظل ، ففي لفظة يتفؤ هنا تجوز ما لوقوع الخصوص في موضع العموم لأن المقصود الاعتبار من أول النهار إلى آخره ، فوضع يتفؤ وضع يذوق أو يميل والضمير في ظلاله يعود على ما أو على شيء (عن اليمين والشمال) يعني عن الجانبين أي يرجع الظل من جانب إلى جانب ، واليمين بمعنى الإيمان ، واستعار هنا الإيمان والشمال الأجرام ، فإن اليمين والشمال إنما هما في الحقيقة الإنسان (سجد الله) حال من الظلال ، وقال الزمخشري حال من الضمير في ظلاله إذ هو بمعنى الجمع لأنه يعود على قوله من شيء ، فعلى الأول يكون السجود من صفة الظلال ، وعلى الثاني يكون من صفة الأجرام واختلف في معنى هذا السجود ، فقل عبر به عن الخضوع والافتقار ، وقيل هو سجود حقيقة (وهم داخرون) أي صاغرون وجمع بالواو لأن الدخور من أوصاف العقلاء (ولله يسجد ما في السموات وما في الأرض من دابة) يحتمل أن يكون من دابة بيان لما في السموات وما في الأرض معاً لأن كل حيوان يصح أن يوصف بأنه يدب ، ويحتمل أن يكون بياناً لما في الأرض خاصة وإنما قال ما في السموات وما في الأرض ليعم العقلاء وغيرهم ، ولو قال من في السموات لم يدخل في ذلك غير العقلاء قاله الزمخشري (والملائكة) إن كان قوله من دابة بياناً لما في السموات والأرض ، فقد دخل الملائكة في ذلك ، وكرر ذكرهم تخصيصاً لهم بالذكر وتشريفاً وإن كان من دابة لما في الأرض خاصة فلم تدخل الملائكة في ذلك فعطفهم على ما قبلهم (يخافون ربهم من فوقهم) هذا إخبار عن الملائكة وهو بيان نفى الاستكبار ، ويحتمل أن يريد فورية القدرة والعظمة أو يكون من المشكلات التي يمسك عن تأويلها ، وقيل معناه يخافون أن يرسل عليهم عذاباً من فوقهم (لا تتخذوا إلهين اثنين) وصف الإلهين باثنين تأكيداً وبياناً للمعنى وقيل إن اثنين مفعول أول وإلهين مفعول ثان ، فلا يكون في الكلام تأكيد (فإياي فارهبون) خرج من الغيبة إلى التكلم ، لأن الغائب هو المتكلم ، وإياي مفعول بفعل مضمر ، ولا يعمل فيه فارهبون لأنه قد أخذ معموله (وله الدين واسباب) أي واجبا وثابتا ، وقيل دائماً ، وانتصابه على الحال من الدين (وما بكم من نعمة فمن الله) يحتمل أن تكون الواو للاستئناف أو للحال فيكون الكلام متصلاً بما قبله : أي كيف تتقون غير الله ، وما بكم من نعمة فمنه وحده (فإليه تجأرون) أي ترفعون أصواتكم بالاستغاثة والتضرع (ليكفروا بما آتيناهم) اللام لام الأمر على وجه التهديد لقوله بعده : فتمتعوا فسوف تعملون ، فعلى هذا يتبدى بها ، وقيل هي لام العاقبة ، فعلى هذا توصل بما قبلها لأنها في الأصل لام كي ، وذلك بعيد في المعنى ، والكفر هنا يحتمل أن يريد به كفر النعم لقوله بما

فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ * وَيَجْعَلُونَ لِمَا لَا يَعْلَمُونَ نَصِيحًا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ تَأْلَفَةً لِّتَسْتَأْذِنُوا كُنْتُمْ تُفَرِّقُونَ * وَيَجْعَلُونَ لِّلَّهِ الْبَلَاءَ سُبْحَانَهُ وَلَهُمْ مَا يَشْتَهُونَ * وَإِذَا بَشَّرَ أَحَدَهُم بِالْأُنْثَىٰ ظَلَّ وَجْهُهُ مُسْوَدًّا وَهُوَ كَظِيمٌ * يَتَوَارَىٰ مِنَ الْقَوْمِ مِنْ سُوءِ مَا بُشِّرَ بِهِ أَيُمْسِكُهُ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُ فِي التُّرَابِ أَلَا سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ * لِلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ مَثَلُ السَّوْءِ وَلِلَّهِ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ * وَلَوْ يُوَازِئُ اللَّهُ النَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِنْ دَابَّةٍ وَلَكِنْ يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَإِذَا جَاءَ أَجْلُهُمْ لَا يَسْتَجِزُونَ سَاعَةً وَلَا يَسْتَقْدِمُونَ * وَيَجْعَلُونَ لِلَّهِ مَا يَكْرَهُونَ وَتَصِفُ أَلْسِنَتُهُمُ الْكُذْبَ أَنَّ لَهُمُ الْحُسْنَىٰ لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ النَّارَ وَأَنَّهُمْ مُّفْرَطُونَ * تَأْلَفَهُ لَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ أُمَمٍ مِّن قَبْلِكَ فزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَهُوَ وَلِيُّهُمُ الْيَوْمَ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ * وَمَا أُنْزِلْنَا عَلَيْكَ

آتِينَاهُمْ ، أو كُفْرَ الجحود والشرك لقوله برهم يشركون (فتمتعوا) يريد التمتع في الدنيا ، وذلك أمر على وجه التهديد (ويجعلون لما لا يعلمون نصيباً مما رزقناهم) الضمير في يجعلون لكفار العرب فإنهم كانوا يجعلون للأصنام نصيباً من ذبائحهم وغيرها ، والمراد بقوله لما لا يعلمون الأصنام ، والضمير في لا يعلمون للكفار أي لا يعلمون ربوبيتهم ببرهان ولا بحجة ، وقيل الضمير في لا يعلمون الأصنام أي الأشياء غير عالمة وهذا بعيد (ويجعلون لله البنات) إشارة إلى قول الكفار إن الملائكة بنات الله ، ثم نزه تعالى نفسه عن ذلك بقوله (سبحانه ولهم ما يشتهون) المعنى أنهم يجعلون لأنفسهم ما يشتهون يعني بذلك الذكور من الأولاد ، وأما الإعراب فيجوز أن يكون ما يشتهون مبتدأ وخبره المجرور قبله ، وأن يكون مفعولاً بفعل مضمر تقديره ويجعلون لأنفسهم ما يشتهون ، وأن يكون معطوفاً على البنات على أن هذا يمنع البصريون ، لأنه من باب ضربتي وكان يلزم عندهم أن يقال لأنفسهم (وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسوداً وهو كظيم) إخبار عن حال العرب في كراهتهم البنات ، وظل هنا يحتمل أن تكون على بابها ، أو بمعنى صار ، والسواد عبارة عن العروس والغم ، وقد يكون معه سواد حقيقة ، وكظيم قد ذكر في يوسف (يتوارى من القوم) أي يستخفي من أجل سوء ما بشر به (أيمسكه على هون أم يدسه في التراب) المعنى يدبر وينظر هل يمسك الأنثى التي بشر بها على هوان وذللها ، أو يدفنها في التراب حية ، وهي الموءودة ، وهذا معنى يدسه في التراب (مثل السوء) أي صفة السوء من الحاجة إلى الأولاد وغير ذلك من صفة الافتقار والنقص (ولله المثل الأعلى) أي الوصف الأعلى من الغنى عن كل شيء والنزاهة عن صفات المخلوقين (ولو يواخذ) يعني لو يعاقبهم في الدنيا (بظلمهم) أي بكفرهم ومعاصيهم (ماترك عليها) الضمير الأرض (من دابة) يعنى بنى آدم وغيرهم وهذا يقتضى أن تهلك الحيوانات بذنوب بنى آدم ، وقد ورد ذلك في الآثار ، وقيل يعنى بنى آدم خاصة (ويجعلون لله ما يكرهون) يعنى البنات (أن لهم الحسنى) أن بدل من الكذب ، والحسنى هنا قيل هي الجنة ، وقيل ذكور الأولاد (وأنهم مفرطون) بكسر الراء والتخفيف من الإفراط : أي متجاوزون الحد في المعاصي ، أو بفتح الراء والتخفيف من الفرط أي معجلون إلى النار ، وبكسر الراء والتشديد من التفريط (فهو وليهم اليوم) يحتمل أن يريد باليوم وقت نزول الآية أو يوم القيامة (وهدى ورحمة) معطوفان على

الْكَتَابَ إِلَّا لِّتُبَيِّنَ لَهُمُ الَّذِي اخْتَلَفُوا فِيهِ وَهُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ۝ وَاللَّهُ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ۝ وَإِنْ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ لَعِبْرَةٌ لِّتُسْقِیَکُمْ مِمَّا فِي بُطُونِهِ مِنْ بَيْنِ فَرْثٍ وَدَمٍ لَبَنًا خَالِصًا سَائِغًا لِلشَّارِبِينَ ۝ وَمِنْ ثَمَرَاتِ النَّخِيلِ وَالْأَعْنَابِ تَتَّخِذُونَ مِنْهُ سَكَرًا وَرِزْقًا حَسَنًا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ۝ وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى النَّحْلِ أَنْ اتَّخِذِي مِنَ الْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ الشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ۝ ثُمَّ كُلِي مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ فَاسْلُكِي سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا يَخْرُجُ مِنْ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ فِيهِ شِفَاءٌ لِّلنَّاسِ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ۝ وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّاكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْدَلِ

موضع لتبين ، وانتصبا على أنهما مفعول من أجله : أى لأجل البيان والهدى والرحمة (نسقيكم) بفتح النون وضمة الغتان ، يقال سقى وأسقى (مما فى بطونه) الضمير الأنعام ، وإنما ذكر لأنه مفرد بمعنى الجمع كقولهم ثوب أخلاق لأنه اسم جنس ، وإذا أنث فهو جمع نعم (من بين فرث ودم) الفرث هى مافى السكرش من الغدد ، والمعنى أن الله يخاق اللبن متوسطا بين الفرث والدم يكتشفانه ، ومع ذلك فلا يغيران له لونا ولا طعما ولا رائحة ، ومن فى قوله مما فى بطونه للتبويض قوله من بين فرث لا ابتداء الغاية (سائغا للشاربين) يعنى سهلا للشرب حتى قيل لم يغص أحد قط باللبن (ومن ثمرات النخيل والأعناب) المجرور يتعلق بفعل محذوف تقديره نسقيكم من ثمرات النخيل والأعناب أى من عصيرها ، ويدل عليه نسقيكم الأول أو يكون من ثمرات معطوف على مما فى بطونها أو يتعلق من ثمرات بتتخذون ، وكرر منه توكيدا أو يكون تتخذون صفة لمحذوف تقديره شيئا تتخذون (سكرأ) يعنى الخمر ، ونزل ذلك قبل تحريمها فهى منسوخة بالتحريم ، وقيل إن هذا على وجه المنة بالمنفعة التى فى الخمر ، ولا تعرض فيها لتحليل ولا تحريم ، فلا نسخ ، وقيل السكر المائع من هاتين الشجرتين كالخل والرب والرزق الحسن : العنب والترو والزبيب (وأوحى ربك إلى النحل) الوحى هنا بمعنى الإلهام ، فإن الوحى على ثلاثة أنواع : وحى كلام ، ووحى منام ، ووحى إلهام (أن اتخذي من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون) أن مفسرة للوحى الذى أوحى إلى النحل ، وقد جعل الله بيوت النحل فى هذه الثلاثة الأنواع إما فى الجبال وكواها ، وإما فى متجوف الأشجار وإما فى عرش بنى آدم من الأجباح والحيطان ونحوها ومن فى المواضع الثلاثة للتبويض لأن النحل إنما تتخذ بيوتا فى بعض الجبال ، وبعض الشجر ، وبعض الأماكن وعرش معناه هيا أو بى ، وأكثر ما يستعمل فيما يكون من الأغصان والخشب (ثم كل من كل الثمرات) عطف كل على اتخذي ، ومن للتبويض ، وذلك أنها إنما تأكل النوار من الأشجار ، وقيل المعنى من كل الثمرات التى تشتهىها (فاسلكي سبل ربك) يعنى الطرق فى الطيران ، وأضافها إلى الرب لأنها ملكه وخاقه (ذلا) أى مطيعة متقادة ويحتمل أن يكون حالا من السبل ، قال مجاهد لم يتعرض قط على النحل طريق أو حالا من النحل أى متقادة لما أمرها الله به (يخرج من بطونها شراب) يعنى العسل (مختلفا ألوانه) أى منه أبيض وأصفر وأحمر (فيه شفاء للناس) الضمير للعسل ، لأن أكثر الأدوية مستعملة من العسل كالمعاجين والأشربة النافعة من الأمراض وكان ابن عمر يتداوى به من كل شيء ، نكأنه أخذه على العموم وعلى ذلك الحديث عن النبي صلى الله عليه

الْعَمْرَ لَكِي لَا يَعْلَمُ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْئًا إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ * وَاللَّهُ فَضْلُ بَعْضِكُمْ عَلَى بَعْضٍ فِي الرِّزْقِ فَمَا الَّذِينَ فُضِّلُوا
بِرَأْدَى رِزْقِهِمْ عَلَى مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَهُمْ فِيهِ سَوَاءٌ أَفَبَسْمَةٍ اللَّهُ يَجْحَدُونَ * وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ
أَزْوَاجًا وَجَعَلَ لَكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ بَنِينَ وَحَفَدَةً وَرِزْقَكُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ أَفَبَالِ تَطْلٍ يُؤْمِنُونَ وَبَنِعْمَتِ اللَّهِ هُمْ
يَكْفُرُونَ * وَيَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَمْلِكُ لَهُمْ رِزْقًا مِنَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ شَيْئًا وَلَا يَسْتَطِيعُونَ *
فَلَا تَضْرِبُوا اللَّهَ الْأَمْثَالَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ * ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا عَبْدًا مَمْلُوكًا لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَمَنْ
رَزَقْنَاهُ مِنْ رِزْقًا حَسَنًا فَهُوَ يُنْفِقُ مِنْهُ سِرًّا وَجَهْرًا هَلْ يَسْتَوُونَ الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ * وَضَرَبَ اللَّهُ

وسلم أن رجلا جاء إليه ، فقال إن أخى يشتكى بطنه ، فقال اسقه عسلا ، فذهب ثم رجع فقال قد
سقيته فما نفع ، قال فاذهب فاسقه عسلا فقد صدق الله وكذب بطن أخيك ، فسقاه فشفاه الله عز وجل
(إلى أرذل العمر) أى إلى أخسه وأحقره ، وهو الهرم وقيل حته خمسة وسبعين عاما ، وقيل ثمانون ،
والصحيح أنه لا يحصر إلى مدة معينة ، وأنه يختلف بحسب الناس (لكيلا يعلم بعد علم شيئا) اللام لام الصيرورة
أى يصير إذا هرم لا يعلم شيئا بعد أن كان يعلم قبل الهرم ، وليس المراد نفى العلم بالكلية ، بل ذلك عبارة عن
قلة العلم الغلبة للنسيان ، وقيل المعنى لئلا يعلم زيادة على علمه شيئا (والله فضل بعضكم على بعض في الرزق)
الآية في معناها قولان : أحدهما أنها احتجاج على الوجدانية كأنه يقول أنتم لا تسقون بين أنفسكم وبين
ماليكم في الرزق ، ولا تجعلونهم شركاء لكم ، فكيف تجعلون عبيدى شركاء لى ، والآخر أنها عتاب وذم
لمن لا يحسن إلى مملوكه حتى يرد ما رزقه الله عليه كما جاء في الحديث : أطعموه مما تأكلون واكسوه مما
تلبسون ، والآخر أرجح (أنعمت الله يمجدون) الجحد هنا على المعنى الأول إشارة إلى الإشراك بالله ،
وعبادة غيره ، ودلى المعنى الثانى إشارة إلى جنس الممالك فيما يجب لهم من الإنفاق (والله جعل لكم من أنفسكم
أزواجا) يعنى الزوجات ، ومن أنفسكم يحتمل أن يريد من نوعكم وعلى خلقكم ، أو يريد أن حواء خلقت
من ضلع آدم ، وأسند ذلك إلى بنى آدم لأنهم من ذريته (وحفدة) جمع حافد قال ابن عباس : هم أولاد
البنين ، وقيل الأصهار وقيل الخدم ، وقيل البنات إلا أن لفظ المذكور لا يدل عليهم ، والحفدة فى اللغة الخدمة
(ويعبدون من دون الله) الآية : توبيخ للكفار ، ورذ عليهم فى عبادتهم الأصنام ، وهى لا تملك لهم رزقا ،
وانتصب رزقا لأنه فعول يملك ، ويحتمل أن يكون مصدرا أو اسما لما يرزق ، فإن كان مصدرا فإعراب
شيئا مفعول به ، لأن المصدر نصيب المفعول ، وإن كان اسما فإعراب شيئا بدل منه (ولا يستطيعون)
الضمير عائد على ما لأن المراد به الإلهية ، ونفى الاستطاعة بعد نفي الملك ، لأن نفيها أبلغ فى الذم (ضرب الله
مثلا عبدا مملوكا) الآية : مثل لله تعالى والأصنام ، فالأصنام كالعباد المملوك الذى لا يقدر على شيء ، والله
تعالى له الملك ، ويده الرزق ويتصرف فيه كيف يشاء ، فكيف يسوى بينه وبين الأصنام ، وإنما قال لا يقدر
على شيء لأن بعض العبيد يقدر على بعض الأمور كالمكاتب والمأذون له (ومن رزقناه) من هنا نكرة
موصوفة ، والمراد به من هو حر قادر كأنه قال وحرأ رزقناه ليطابق عبدا ، ويحتمل أن تكون موصولة (هل

مَثَلًا رَجُلَيْنِ أَحَدُهُمَا أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَى شَيْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَى مَوْلَاهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ هَلْ يَسْتَوِي هُوَ وَمَنْ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَهُوَ عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ، وَلِلَّهِ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا أَمْرُ السَّاعَةِ إِلَّا كَلَمْحِ الْبَصَرِ أَوْ هُوَ أَقْرَبُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ * وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَرَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ * أَلَمْ يَرْوَا إِلَى الطَّيْرِ مُسَخَّرَاتٍ فِي جَوِّ السَّمَاءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا اللَّهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ * وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنْ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنْ جُلُودِ الْأَنْعَامِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ وَمِنْ أَصْوَابِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَا أَثْنَا وَمِئْتًا إِلَىٰ حِينٍ * وَاللَّهُ جَعَلَ لَكُم مَّا خَلَقَ ظِلَالًا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْجِبَالِ أَكْنَانًا وَجَعَلَ لَكُم سُرَابِيلَ تَقِيكُمُ الْحَرَّ وَسُرَابِيلَ تَقِيكُمُ

يستونون) أى هل يستوى العبيد والأحرار الذين ضرب لهم المثل (الحمد لله) شكر الله على بيان هذا المثل ووضوح الحق (بل أكثرهم لا يعلمون) يعنى الكفار (وضرب الله مثلا رجلين أحدهما أبكم) الآية : مثل الله تعالى وللأصنام كالذى قبله ، والمقصود منهما إبطال مذاهب المشركين ، وإثبات الوحدانية لله تعالى ، وقيل إن الرجل الأبكم أبو جهل ، والذى يأمر بالعدل عمار بن ياسر ، والأظهر عدم التعيين (وهو كل على مولاه) الكل الثقيل يعنى أنه عيال على وليه أو سيده ، وهو مثل الأصنام والذى يأمر بالعدل هو الله تعالى (وما أمر الساعة إلا كلمح البصر أو هو أقرب) بيان لقدرة الله على إقامتها ، وأن ذلك يسير عليه كقوله : ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة ، وقيل المراد سرعة إتيانها (والله أخرجكم من بطون أمهاتكم) الأمهات جمع أم زبدت فيه الهاء فرقا بين من يعقل ومن لا يعقل ، وقرئ بضم الهمزة وبكسرهما إتباعا للكسرة قبلها (في جوف السماء) أى فى الهواء البعيد من الأرض (والله جعل لكم من بيوتكم سكنا) السكن مصدر يوصف به ، وقيل هو فعل بمعنى مفعول ومعناه ما يسكن فيه كالبيوت أو يسكن إليه (وجعل لكم من جلود الأنعام بيوتا) يعنى الأدم من القباب وغيرها (تستخفونها) أى تجدونها خفيفة (يوم ظعنكم ويوم إقامتكم) يعنى فى السفر والحضر ، واليوم هنا بمعنى الوقت ويقال ظعن الرجل إذا رحل ، وقرئ ظعنكم بفتح العين ، وإسكانها تخفيفا (ومن أصوافها وأوبارها وأشعارها) الأصواف للغنم ، والأوبار للإبل ، والأشعار للمعز والبقر (أثنا) اثنا عشر متاع البيت من البسط وغيرها ، وانتصابه على أنه مفعول بفعل مضمر تقديره جعل (ومتاعا إلى حين) أى إلى وقت غير معين ، ويحتمل أن يريد إلى أن تبلى وتنفى أو إلى أن تموت (والله جعل لكم مما خلق ظلالا) أى نعمة عددها الله عليهم بالظل ، لأن الظل مطلوب فى بلادهم محبوب أشد حراها ، ويعنى بما خلق من الشجر وغيرها (وجعل لكم من الجبال أكنانا) الأكنان جمع كن ، وهو ما بقى من المطر والريح وغير ذلك ، ويعنى بذلك الغيران والبيوت المنحوتة فى الجبال (وجعل لكم سراويل تقيكم الحر) السراويل هى الثياب من القمص وغيرها ، وذكر وقاية الحر ولم يذكر وقاية البرد ، لأن وقاية الحر أهم عندهم لحرارة بلادهم ، وقيل لأن ذكر أحدهما يعنى عن ذكر الآخر (وسراويل تقيكم بأسكم) يعنى دروع الحديد (يعرفون نعمت الله)

بَأْسَكُمْ كَذَلِكَ يَتِمُّ نِعْمَتُهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ * فَإِنْ تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ * يَعْرِفُونَ نِعْمَتَ اللَّهِ ثُمَّ يُنْكِرُونَهَا وَأَكْثَرُهُمُ الْكَافِرُونَ * وَيَوْمَ نَبْعَثُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا ثُمَّ لَا يُؤْذَنُ لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَلَا لَهُمْ يُسْتَعْتَبُونَ * وَإِذَا رَأَوْا الَّذِينَ ظَلَمُوا الْعَذَابَ فَلَا يَخَفُّ عَنْهُمْ وَلَا هُمْ يَنْظُرُونَ * وَإِذَا رَأَوْا الَّذِينَ أَشْرَكُوا شُرَكَاءَهُمْ قَالُوا رَبَّنَا هَؤُلَاءِ شُرَكَائُنَا الَّذِينَ كُنَّا نَدْعُوا مِنْ دُونِكَ فَأَلْقَوْا إِلَيْهِمُ الْقَوْلَ إِنَّكُمْ لَكَاذِبُونَ * وَأَلْقُوا إِلَى اللَّهِ يَوْمَئِذٍ السَّلَامَ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ * الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ زِدْنَاهُمْ عَذَابًا فَوْقَ الْعَذَابِ بِمَا كَانُوا يُفْسِدُونَ * وَيَوْمَ نَبْعَثُ فِي كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَجِئْنَا بِكَ شَهِيدًا عَلَى هَؤُلَاءِ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تَبْيِينًا لِكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ * إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالْإِحْسَانِ وَإِيتَاءِ ذِي الْقُرْبَىٰ وَيَنْهَىٰ عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ * وَأَوْفُوا بِعَهْدِ اللَّهِ إِذَا عَاهَدْتُمْ وَلَا تَنْقُضُوا الْأَيْمَانَ بَعْدَ تَوْكِيدِهَا وَقَدْ جَعَلْتُمُ اللَّهَ كَفِيلًا إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا تَفْعَلُونَ * وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَقِضَتْ عَهْدَهُمْ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ أَنْكُنَّا تَتَّخِذُونَ أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا بَيْنَكُمْ أَنْ تَكُونَ أُمَّةٌ هِيَ أَرْبَىٰ

إشارة إلى ما ذكر من النعم من أول السورة إلى هنا والضمير في يعرفون للكفار، وإنكارهم لنعم الله إشرافهم به وعبادة غيره، وقيل نعمة الله هنا نبوة محمد صلى الله عليه وسلم (ويوم نبعث من كل أمة شهيداً) أى يشهد عليهم بإيمانهم وكفرهم (ثم لا يؤذن للذين كفروا) أى لا يؤذن لهم في الاعتذار (ولاهم يستعبتون) أى لا يسترضون، وهو من العتبي بمعنى الرضى (ولاهم ينظرون) يحتمل أن يكون بمعنى التأخير أو بمعنى النظر: أى لا ينظر الله إليهم (فألقوا إليهم القول إنكم لكاذبون) الضمير في القول للمعبودين والمعنى أنهم كذبوهم في قولهم أنهم كانوا يعبدونهم، كقولهم ما كنتم إيانا تعبدون، فإن قيل: كيف كذبوهم وهم قد كانوا يعبدونهم؟ فالجواب أنهم لما كانوا غير راضين بعبادتهم، فكأن عبادتهم لم تكن عبادة، ويحتمل أن يكون تكذيبهم لهم في تسميتهم شركاء لله، لا في العبادة (وألقوا إلى الله يومئذ السلم) أى استسلموا له وانقادوا (زدناهم عذاباً فوق العذاب) روى أن الزيادة في العذاب هي حيات وعقارب كالبلغال تلسعهم (إن الله يأمر بالعدل والإحسان) يعنى بالعدل: فعل الواجبات، وبالإحسان: المندوبات، وذلك في حقوق الله تعالى وفي حقوق المخلوقين، قال ابن مسعود: هذه أجمع آية في كتاب الله تعالى (وإيتاء ذى القربى) الإيتاء مصدر آتى بمعنى أعطى، وقد دخل ذلك في العدل والإحسان، ولكنه جرده بالذكر اهتماماً به (وينهى عن الفحشاء) قيل يعنى الزنا، واللفظ أعم من ذلك (والمسكر) هو أعم من الفحشاء، لأنه يعم جميع المعاصي (والبغى) يعنى الظلم (ولا تنقضوا الأيمان) هذا في الأيمان التي في الوفاء بهاخير، وأما ما كان تركه أولى، فليتكفر عن يمينه وليفعل الذي هو خير منه، كما جاء في الحديث، أو تكون الأيمان هنا ما يحلفه الإنسان في حق غيره، أو معاهدة لغيره (وقد جعلتم الله عليكم كفيلاً) أى رقيباً ومتكفلاً بوفائكم بالعهد، وقيل إن هذه الآية نزلت

مِنْ أُمَّةٍ إِمَّا يَدْعُوكُمُ اللَّهُ بِهِ وَلِيُبَيِّنَ لَكُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ مَا كُنْتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ * وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً
وَاحِدَةً وَلَٰكِنْ يُطِيعُ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَلِتَسْأَلَنَّ عَنْ أَمْرِكُمْ تَعْمَلُونَ * وَلَا تَتَّخِذُوا أَيْمَانَكُمْ دَخَلًا
بَيْنَكُمْ فَتَزِلَّ قَدَمُ بَعْضٍ ثُبُوتَهَا وَتَذُوقُوا السُّوءَ بِمَا صَدَدْتُمْ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَلَكُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ * وَلَا تَشْتَرُوا
بِعَهْدِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا إِمَّا عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ وَلَنَجْزِيَنَ
الَّذِينَ صَبَرُوا أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِّنْ ذَكَرٍ أَوْ أَشِئَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً
طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ * فَإِذَا قَرَأْتَ الْقُرْآنَ فَاسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ *
إِنَّهُ لَيْسَ لَهُ سُلْطَانٌ عَلَى الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ * إِنَّمَا سُلْطَانُهُ عَلَى الَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُ وَالَّذِينَ هُمْ بِهِ
مُشْرِكُونَ * وَإِذَا بَدَلْنَا آيَةً مَّكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنْزَلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ * قُلْ

في بيعة النبي صلى الله عليه وسلم ، وقيل فيما كان بين العرب من حلف في الجاهلية (ولا تكونوا كالتى نقضت
غزها) شبه الله من يحلف ولم يف بيمينه بالمرأة التى تغزل غزلا قويا ثم تنقضه ، وروى أنه كان بمكة امرأة
حمقاء تسمى ربيعة بنت سعد ، كانت تفعل ذلك وبها وقع التشبيه ، وقيل إنما شبه بالمرأة غير معينة (أنكاثا)
جمع فكث وهو ما ينكث أى ينفذ ، وانصابه على الحمال (تتخذون أيمانكم دخلا بينكم) الدخا الدغل ،
وهو قصد الخديعة (أن تكون أمة هى أرى من أمة) أن فى موضع المفعول من أجله : أى بسبب أن تكون
أمة ، ومعنى أرى : أكثر عدداً أو أقوى ، ونزلت الآية فى العرب الذين كانت القبيلة منهم تحالف الأخرى ،
فإذا جاءها قبيلة أقوى منها غدرت بالأولى وحالفت الثانية ، وقيل الإشارة بالأرى هنا الى كفار قريش إذ
كانوا حينئذ أكثر من المسلمين (إنما يلوكم الله به) الضمير الأمر بالوفاء ، أو لتكون أمة هى أرى من أمة ، فإن
بذلك يظهر من يحافظ على الوفاء أولا (فتزل قدم بعد ثبوتها) استعارة فى الرجوع عن الخير إلى الشر ،
وإنما أفرد القدم ونكرها : لاستعظام الزلل فى قدم واحدة فكيف فى أقدام كثيرة (وتذوقوا السوء)
يعنى فى الدنيا (بما صددتم عن سبيل الله) يدل على أن الآية فىمن بايع النبي صلى الله تعالى عليه وعلى
آله وسلم (ولكم عذاب عظيم) يعنى فى الآخرة (ولا تشتروا بعهد الله ثمنا قليلا) الثمن القليل عرض
الدنيا ، وهذا نهى لمن بايع النبي صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم أن ينكث لأجل ضعف الإسلام حينئذ
وقوة الكفار ورجاء الانتفاع فى الدنيا إن رجع عن البيعة (ما عندكم ينفد) أى ينفى (فلنحيينه حياة
طيبة) يعنى فى الدنيا ، قال ابن عباس هى الرزق الحلال ، وقيل هى القناعة ، وقيل هى حياة الآخرة (فإذا
قرأت القرآن فاستعذ بالله) ظاهر اللفظ أن يستعاذ بعد القراءة . لأن الفاء تقتضى الترتيب ، وقد شذ قوم
فأخذوا بذلك ، وجمهور الأمة على أن الاستعادة قبل القراءة . وتأويل الآية : إذا أردت قراءة القرآن
فاستعذ بالله (إنه ليس له سلطان على الذين آمنوا) أى ليس له عليهم سبيل ولا يقدر على إضلالهم (إنما
سلطانه على الذين يتولونه) أى يتخذونه ولياً (والذين هم به مشركون) الضمير لإبليس ، والبلاء سببية (وإذا

نَزَلَهُ رُوحُ الْقُدُسِ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ لِيُثَبِّتَ الَّذِينَ آمَنُوا وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ . وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّهُمْ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُ بَشَرٌ لِّسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِي وَهَذَا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ . إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ لَا يَهْدِيهِمُ اللَّهُ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ . إِنَّمَا يَقْتَرِي الْكَذِبَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِآيَاتِ اللَّهِ وَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَاذِبُونَ ، مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيْمَانِهِ إِلَّا مَنْ أَكْرَهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَٰكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ

بدلنا آية . مكان آية) التبديل هنا النسخ ، كان الكفار اذا نسخت آية يقولون هذا افتراء ولو كان من عند الله لم يبدل (والله أعلم بما ينزل) جملة اعتراض بين الشرط وجوابه وفيها رد على الكفار أى الله أعلم بما يصلح للعباد في وقت ثم ما يصلح لهم بعد ذلك (قل نزله روح القدس) يعنى جبريل (بالحق) أى مع الحق في أوامره ونواهيه وأخباره ، ويحتمل أن يكون قوله بالحق بمعنى حتماً ، أو بمعنى أنه واجب النزول (أنهم يقولون إنما يعلمه بشر) كان بمكة غلام أعجمى اسمه يعيش ، وقيل كانا غلامين اسم أحدهما جبر والآخر يسار ، فكان النبي صلى الله عليه وسلم يجلس إليهما ويدعوهما إلى الإسلام ، فقالت قريش هذان يعلمان محمداً (لسان الذي يلحدون إليه أعجمي) اللسان هنا بمعنى اللغة والكلام ، ويلحدون من ألد إذا مال ، وقرئ بفتح الياء من لحد ، وهما بمعنى واحد ، وهذا رد عليهم فإن الشخص الذي أشاروا إليه أنه يعلمه أعجمي اللسان ؛ وهذا القرآن عربي في غاية الفصاحة ، فلا يمكن أن يأتي به أعجمي (إن الذين لا يؤمنون بآيات الله لا يهديهم الله) هذا في حق من علم الله منه أنه لا يؤمن كقوله : إن الذين حققت عليهم كلمة ربك لا يؤمنون ، فاللفظ عام يراد به الخصوص ، كقوله : إن الذين كفروا سواء عليهم ما أذنتهم الآية ، وقال ابن عطية : المعنى إن الذين لا يهديهم الله لا يؤمنون بالله ولا كنهه قدم في هذا الترتيب وأخرتهم كما يتقبيح أفعالهم (إنما يفترى الكذب الذين لا يؤمنون بآيات الله) رد على قولهم إنما أنت مفتر : يعنى إنما يليق الكذب بمن لا يؤمن لأنه لا يخاف الله وأما من يؤمن بالله فلا يكذب عليه (فأولئك هم الكاذبون) الإشارة إلى الذين لا يؤمنون بالله : أى هم الذين عادتهم الكذب لأنهم لا يبالون بالوقوع في المعاصي ، ويحتمل أن يكون الكذب المنسوب إليهم قولهم إنما أنت مفتر (من كفر بالله) الآية : من شرطية في موضع رفع بالابتداء ، وكذلك من في قوله من شرح ، لأنه تخصيص من الأول ، وقوله فعليه غضب : جواب عن الأولى والثانية ، لأنهما بمعنى واحد ، أو يكون جواباً للثانية ، وجواب الأولى محذوف يدل عليه جواب الثانية ، وقيل من كفر يدل من الذين لا يؤمنون أو من المبتدأ في قوله أولئك هم الكاذبون ، أو من الخبر (إلا من أكره) استثنى من قوله من كفر ، وذلك أن قوما ارتدوا عن الإسلام ، فنزلت فيهم الآية ، وكان فيهم من أكره على الكفر فنطق بكلمة الكفر ، وهو يعتقد الإيمان منهم عمار بن ياسر ، وصهيب ، وبلال فعذرهم الله ، روى أن عمار بن ياسر شكى إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ما صنع به من العذاب وما تسامح به من القول ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم : كيف تجد قلبك ، قال أجده مطمئناً بالإيمان ، قال فأجههم بلسانك ، فإنه لا يضررك ، وهذا الحكم في من أكره بالنطق على الكفر ، وأما الإكراه على فعل هو كفر كالسجود للصنم فاختلاف هل تجوز الإجابة إليه أم لا ؟ فأجازة الجمهور ، ومنعه قوم وكذلك قال مالك : لا يلزم المكروه بيمين ولا طلاق ولاعتق ولا شيء فيما بينه وبين الله ، ويلزمه ما كان من

غَضَبَ مِنْ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ . ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ اسْتَحَبُّوا الْحَيَاةَ الدُّنْيَا عَلَى الْآخِرَةِ وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ . أُولَئِكَ الَّذِينَ طَبَعَ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِهِمْ وَسَمِعَهُمْ وَأَبْصَرَهُمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ . لَا جَرَمَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمْ الْخَاسِرُونَ * ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ هَاجَرُوا مِنْ بَعْدِ مَا قُتِلُوا ثُمَّ جَاهَدُوا وَصَبَرُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ . يَوْمَ تَأْتِي كُلُّ نَفْسٍ تُجَادِلُ عَنْ نَفْسِهَا وَتُوْفَىٰ كُلُّ نَفْسٍ بِمَا عَمِلَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ . وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ . وَلَقَدْ جَاءَهُمْ رَسُولٌ مِنْهُمْ فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ وَهُمْ ظَالِمُونَ . فَكُلُوا مِمَّا رَزَقَكُمْ اللَّهُ حَلَالًا طَيِّبًا وَاشْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ . إِنَّمَا حَرَّمَ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةَ

حقوق الناس ، ولا تجوز الإجابة إليه كالأكره على قتل أحد أو أخذ ماله (ذلك بأنهم استحبوا الحياة الدنيا) الإشارة إلى العذاب ، والباء للتعليل ، فعال عذابهم بعلتين : أحدهما إثارهم الحياة الدنيا ، والآخرى أن الله لا يهديهم (ثم إن ربك للذين هاجروا من بعد ما قُتِلُوا) قرأه الجمهور فتنوا بضم الفاء : أى عذبوا فالآية على هذا في عمار وشبهه من المعذنين على الإسلام ، وقرأ ابن عامر بفتح الفاء : أى عذاب المسلمين ، فالآية على هذا فيمن عذب المسلمين ، ثم هاجر وجاهد كالخضرمي وأشباهه (إن ربك من بعدها لغفور رحيم) كرر إن ربك تأكيداً ، والضمير في بعدها يعود على الأفعال المذكورة وهى الهجرة والجهاد والصبر (يوم تأتى) يحتمل أن يتعاقب بغفور رحيم أو بمحذوف تقديره اذكر وهذا أظهر (كل نفس) النفس هنا بمعنى الجملة كقولك إنسان ، والنفس فى قوله عن نفسها بمعنى الذات المعينة التى نقيضها الغير أى تجادل عن ذاتها لا عن غيرها كقولك جاء زيد نفسه وعينه (تجادل عن نفسها) أى تحتج وتعتذر ، فإن قيل : كيف الجمع بين هذا وبين قوله هذا يوم لا ينطقون ولا يؤذن لهم فيعتذرون ؟ فالجواب أن الحال مختلف باختلاف المواطن والأشخاص (وضرب الله مثلاً قرية كانت آمنة مطمئنة) الآية . قيل إن القرية المذكورة مكة كانت بهذه الصفة التى ذكرها الله (فكفرت بأنعم الله) يعنى ببوة محمد صلى الله عليه وسلم ، فأصابهم الجذب والخوف من غزو النبي صلى الله تعالى عليه وعلى آله وسلم ، وقيل إنما قصد قرية غير معينة أصابها ذلك فضرب الله بها مثلاً لمكة ، وهذا أظهر ، لأن المراد وعظ أهل مكة بما جرى لغيرهم ، والضمير فى قوله فكفرت وأذاقها : يراد بها أهل القرية بدليل قوله بما كانوا يصنعون (فأذاقها الله لباس الجوع والخوف) الإذاقة هنا واللباس مستعاران ، أما الإذاقة فقد كثر استعمالها فى البلايا ، حتى صارت كالحقيقة ، وأما اللباس فاستعير للجوع والخوف لاشتغالهما على اللباس ومباشرتهما له كمباشرة الثوب (ولقد جاءهم رسول منهم) إن كان المراد بالقرية مكة ، فالرسول هنا محمد صلى الله عليه وآله وسلم والعذاب الذى أخذهم القحط وغيره وإن كانت القرية غير معينة ، فالرسول من المتقدمين كهود وشعيب وغيرهما ، والعذاب ما أصابهم من الهلاك (فكلوا) وما بعده مذكور فى البقرة (ولا تقولوا لما تصف السنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام) هذه

وَالدَّمَ وَلَحْمَ الْخَنَازِيرِ وَمَا أَهْلَ لَغَيْرِ اللَّهِ بِهِ فَمَنْ اضْطُرَّ غَيْرَ بَاغٍ وَلَا عَادٍ فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ۝ وَلَا تَقُولُوا
لِمَا تَصِفُ أَلْسِنَتُكُمُ الْكَذِبَ هَذَا حَلَالٌ وَهَذَا حَرَامٌ لِتَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ الْكَذِبَ إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللَّهِ
الْكَذِبَ لَا يَفْلَحُونَ ۝ مَتَاعٌ قَلِيلٌ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝ وَعَلَى الَّذِينَ هَادُوا حَرَمًا مَاقَصَصْنَا عَلَيْكَ مِنْ قَبْلُ وَمَا
ظَلَمْنَاهُمْ وَلَٰكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ * ثُمَّ إِنَّ رَبَّكَ لِلَّذِينَ عَمِلُوا السُّوءَ بِجَهَالَةٍ ثُمَّ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ
وَأَصْلَحُوا إِنَّ رَبَّكَ مِنْ بَعْدِهَا لَغَفُورٌ رَحِيمٌ ۝ إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً قَاتِلًا لِلَّهِ خَنِيفًا وَلَمْ يَكُ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ۝
شَاكِرًا لِنِعْمَةِ رَبِّهِ أَتَّبِعُهُ وَهَدَّاهُ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ۝ وَآتَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ ۝
ثُمَّ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ أَنْ اتَّبِعِ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ خَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ ۝ إِنَّمَا جَعَلَ السَّبْتُ عَلَى الَّذِينَ اخْتَلَفُوا
فِيهِ وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَحْكُمُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَمَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ۝ أَدْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحُكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ

الآية مخاطبة للعرب الذين أحلوا أشياء وحرموا أشياء كالبحير وغيرهما ذكر في سورة المائدة والأنعام، ثم يدخل
فيها كل من قال هذا حلال أو حرام بغير علم، وانتصب الكذب بلا تقولوا أو يكون قوله هذا حلال وهذا
حرام بدل من الكذب وما في قوله بما تصف موصولة ويجوز أن ينتصب الكذب بقوله تصف وتكون
ما على هذا مصدرية ويكون قوله هذا حلال وهذا حرام معمول لا تقولوا (متاع قليل) بمعنى عيشهم في الدنيا أو
انتفاعهم بما فعلوه من التحليل والتحريم (وعلى الذين هادوا حرمنا ما قصصنا عليك من قبل) يعني قوله في الأنعام
حرمنا كل ذي ظفر إلى آخر الآية، فذكر ما حرم على المسلمين وما حرم على اليهود، ليعلم أن تحريم ما عدا
ذلك اقتراء على الله كما فعلت العرب (ثم إزدبك للذين عملوا سوء بجهالة) هذه الآية تأنيس لجميع الناس
وفتح باب التوبة (إن إبراهيم كان أمة) فيه وجهان: أحدهما أنه كان وحده أمة من الأمم بكامله وجمعه لصفات
الخير كقول الشاعر فليس على الله بمستذكر ۝ أن يجمع العالم في واحد ۝ والآخر أن يكون أمة بمعنى إمام كقوله
إني جاعلك للناس إماما، قال ابن مسعود والأمة مع علم الناس الخير، وقد ذكر معنى القانت والخيف (وآتيناه في
الدنيا حسنة) يعني لسان الصدق، وأن جميع الأمم متفقون عليه، وقيل يعني المال والأولاد (لمن الصالحين) أى من
أهل الجنة (ولم يكن من المشركين) نفى عنه الشرك لقصد الرد على المشركين من العرب الذين كانوا ينتمون إليه
(إنما جعل السبت على الذين اختلفوا فيه) أمر موسى بنى إسرائيل أن يجعلوا يوم الجمعة مختصا للعبادة فرضى
بعضهم بذلك، وقال أكثرهم بل يكون يوم السبت، فألزمهم الله يوم السبت، فاختلفا فهم فيه هو ما ذكر
والسبت على هذا هو اليوم، وقيل اختلفا فهم فيه: هو أن منهم من حرم الصيد فيه، ومنهم من أحله، فعاقبهم
الله بالمسخ قردة، فالمعنى: إنما جعل وبالسبت على الذين اختلفوا فيه، والسبت على هذا مصدر من سبت
إذا عظم يوم السبت، قاله الزمخشري، وتقضى الآية أن السبت لم يكن من ملة إبراهيم عليه السلام (ادع
إلى سبيل ربك بالحكمة والموعظة الحسنة) المراد بالسبيل هنا الإسلام، والحكمة هي الكلام الذي يظهر
صوابه، والموعظة هي الترغيب والترهيب، والجدال هو الرد على المخالف، وهذه الأشياء الثلاثة يسميها

أَحْسَنَ وَجَدْلَهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنْ ضَلَّ عَنْ سَبِيلِهِ وَهُوَ أَعْلَمُ بِالْمُهْتَدِينَ * وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عَاقَبْتُمْ بِهِ وَلَئِنْ صَبَرْتُمْ لَهُوَ خَيْرٌ لِلصَّابِرِينَ * وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُ فِي ضَيْقٍ مِمَّا يَمْكُرُونَ ۚ إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ ۚ

أهل العلوم العقلية بالبرهان والخطابة والجدال ، وهذه الآية تقتضي مهادنة نسخت بالسيف ، وقيل إن الدعاء إلى الله بهذه الطريقة من التلطف والرفق غير منسوخ ، وإنما السيف لمن لا تنفعه هذه الملائقة من الكفار وأما العصاة فهي في حقهم محكمة إلى يوم القيامة باتفاق (وإن عاقبتهم فعاقبوا بمثل ما عوقبتهم به) المعنى إن صنع بكم صنع سوء فافعلوا مثله ولا تزيدوا عليه ، والعقوبة في الحقيقة إنما هي الثانية ، وسميت الأولى عقوبة لمشاكلة اللفظ ، ويحتمل أن يكون عاقبتهم بمعنى أصبتم عقي : كقوله في الممتحنة فعاقبتهم بمعنى غنمتم فيكون في الكلام تجنيس ، وقال الجمهور : إن الآية نزلت في شأن حمزة بن عبد المطلب لما بقر المشركون بطنه يوم أحد ، قال النبي صلى الله عليه وسلم والله لئن أظفرتني الله بهم لأمثلن بسبعين منهم ، فنزلت الآية فكفر النبي صلى الله عليه وسلم عن يمينه وترك ما أراد من المثلة ؛ ولا خلاف أن المثلة حرام ، وقد وردت الأحاديث بذلك ؛ ويقتضي ذلك أنها مدنية ، ويحتمل أن تكون الآية عامة ، ويكون ذكرهم لحمزة على وجه المثال ، وتكون على هذا مكية كسائر السورة ؛ واختلف العلماء فيمن ظلمه رجل في مال ثم ائتمن الظالم المظلوم على مال هل يجوز له خيانتة في القدر الذي ظلمه ، فأجاز ذلك قوم لظاهر الآية ، ومنعه مالك لقوله صلى الله عليه وسلم أذ الأمانة إلى من ائتمنك ، ولا تحزن من خانك (ولئن صبرتم لهو خير للصابرين) هذا نذب إلى الصبر وترك عقوبة من أساء إليك فإن العقوبة مباحة ، وتركها أفضل ، والصبر راجع للصبر ، ويحتمل أن يريد بالصابرين هنا العموم ، أو يراد به المخاطبون كأنه قال خير لكم (واصبر وما صبرك إلا بالله) هذا عزم على النبي صلى الله عليه وسلم في خاصته على الصبر ، ويروى أنه قال لأصحابه أما أنا فأصبر كما أمرت ، فإذا تصنعون ؟ قالوا نصبر كما ندبنا ثم أخبره أنه لا يصبر إلا بمعونة الله ؛ وقد قيل إن ما في هذه الآية من الأمر بالصبر منسوخ بالسيف ، وهذا إن كان الصبر يراد به ترك القتال ، وأما إن كان الصبر يراد به ترك المشقة التي فعل مثلاً بحمزة فذلك غير منسوخ (ولا تحزن عليهم) أي لا تأسف لكفرهم (ولا تك في ضيق مما يَمْكُرُونَ) أي لا يضيق صدرك بمكرهم ، والضيق بفتح الضاد تخفيف من ضيق كبت وميت ، وقرئ بالكسر وهو مصدر ، ويجوز أن يكون الضيق والضيق مصدران (إن الله مع الذين اتقوا) يريد أنه معهم بمعونته ونصره (والذين هم محسنون) الإحسان هنا يحتمل أن يراد به فعل الحسنات ، والمعنى الذي أشار له النبي صلى الله عليه وسلم بقوله : الإحسان أن تعبد الله كأنك تراه وهذا هو الأظهر ، لأنه رتبة فوق التقوى .